

حراثته ، فقال له : يا إسبان ، إنك لذو شان ، وسوف يخطيك زمان ، ويعليك سلطان ..» (١٦) ، ويمضى الحوار بينهما في حديث مسجوع مصنوع أشبه بسجع الكهان . ثم دعا له الخضر بالخير ، وبشره بالملك . ولئن كان الخضر في عالم الأساطير يتحدث بكل اللغات ، إلا أن الراوى لم يقل لنا هنا بأيها تحدث إلى هذا الشيخ إسبان .

ومع إسبان هذا تستطيع أن تمضى لحظات ممتعة ، رفقة خيال خصيب ، فهو أحد الذين ملكوا الدنيا- فيما زعموا- (والانحتراز من المقرئ!) ، استوت له الأندلس بأسرها ، ودانت له بكاملها ، واتخذ إشبيلية دار ملكه ، واستغلظ سلطانه في الأرض ، وكثرت جموعه فعظم عتوه ، وغزا إيليا ، وهى بيت المقدس الشريف ، بعد سنتين من ملكه ، خرج إليها من إشبيلية في السفن فغنمها وهدمها ، وقتل فيها من اليهود مائة ألف ، واسترق مائة ألف ، ونقل رخام إيليا وآلاتها إلى الأندلس .

لقد أورد المقرئ في الجزء الأول من تاريخه فيضاً من هذه الروايات وليست كلها صنعة قاص ، وإنما فيها تاريخ حقيقى كثير ، مضطرب نعم ، ومتداخل دون شك ، ولكنه مادة خصبة وأساسية لفترة تفتقد المؤرخ والتاريخ .

ويحتاج ابن حيان المؤرخ الأندلسى الجليل لنفسه ، فذكر أنه ينقلها عن رواة العجم ، وكانوا يتداولونها شفاها ، وهذا التداول الشفوى هو مصدر الخلط والاضطراب ، وحين كانت تصطدم مع موازينه في الرواية ، ومنهجه في التمحيص ، ويراه سبيله الوحيد لمعرفة شىء عن تاريخ الأندلس القديم ، يوردها ويعتذر لنفسه ، والحق أن هذه الأساطير لا تختص بها المؤلفات العربية وحدها ، وإن أوهم بعض المستشرقين بذلك ، إذ نلتقى بها ، كثيرة وتثير الضحك ، في المؤلفات الإسبانية المسيحية التى كتبت في اللغة اللاتينية ، أو في اللغة القشتالية القديمة ، فنجدها في : «مدونة تاريخ إسبانيا العام» ، والتى أمر الفونسو العاشر ، الملقب بالحكيم ، بكتابتها ، تأليفاً في جانب منها ، ونقلها عن العربية في جوانب أخرى ، في منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، ونجدها في مؤلفات رودريجو خمينث